❀ المحاضرة السابعة: المشاكل البشرية التي تتعرض لها الأراضي الجافة ❀

بالرغم من أن الأراضي الجافة (الصحاري، وشبه الجافة، والأراضي القاحلة جزئياً) عرضة للضغوط المناخية والطبيعية وتتأثر بها، الا أن للأنشطة البشرية دور كبير في تسريع وتعميق تدهور الأراضي – تصحرها وتآكلها وفقدان خصوبتها وموادها العضوية وتملحها وتراجع مخزون المياه فيها وهذا ما أكدته كل من (UNCCD، IPCC، FAO) مؤكدة أن الأنشطة البشرية تساهم بدور فاعل الى جانب تفاقم التغيرات المناخية وأن الأنشطة البشرية هي من تحدد المسار المستقبلي.

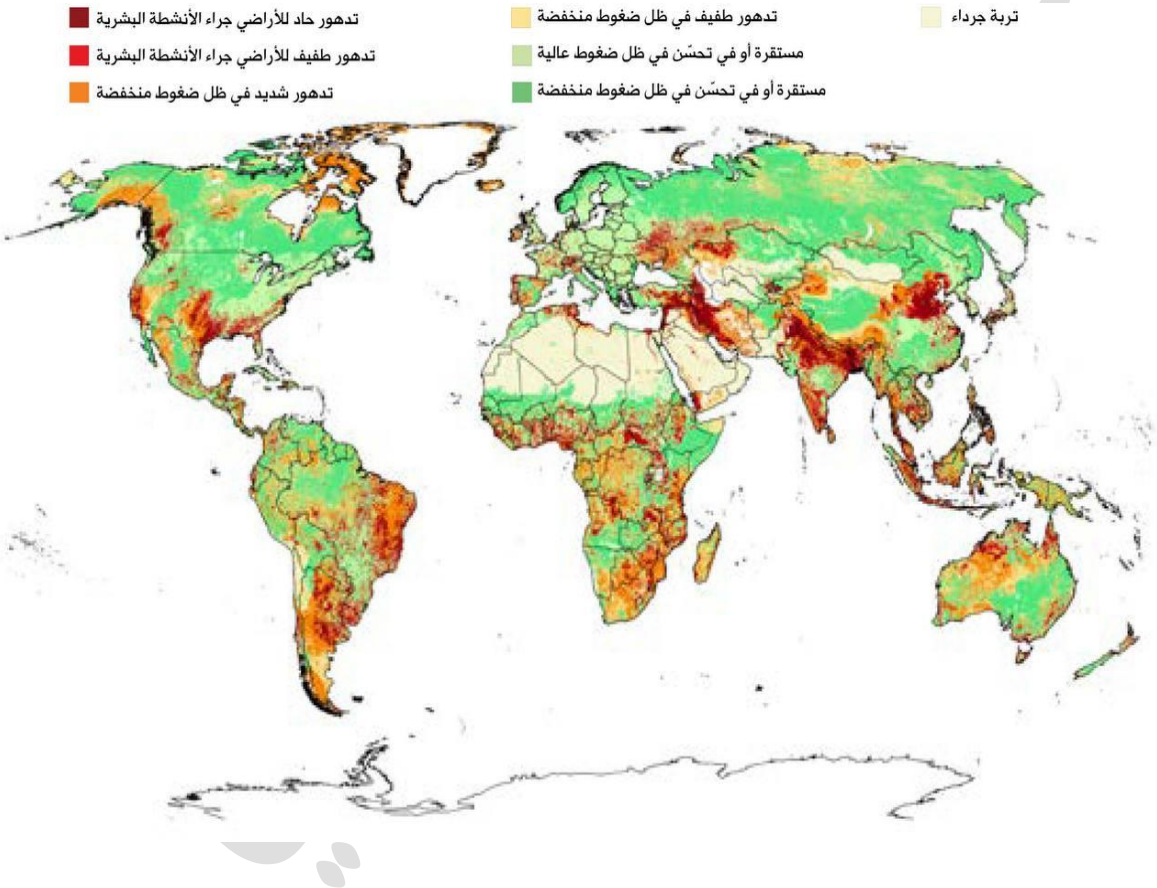

١) الاستغلال المفرط للموارد المائية:

يؤثر الاستغلال المفرط للمياه على كمية المياه الواردة لأي منطقة، وتعتمد الأراضي الجافة على المياه الجوفية (آبار وخزانات) نتيجة قلة سقوط الامطار وقلة الجريان السطحي، فالسحب الزائد (للري أو الصناعات) يخفض منسوب المياه ويرفع تكلفة الضخ، فعلى سبيل المثال الإفراط في سحب المياه الجوفية خاصة في الأنبار والنجف والمثنى أدى إلى انخفاض مستويات المياه وتملّحها، والاعتماد على مياه نهري دجلة والفرات تراجع بسبب السدود في دول المنبع، مما أجبر المزارعين على حفر آبار غير منظمة.

٢) الزراعة غير المستدامة

والتي تتمثل بالممارسات التقليدية واتباع أساليب ري خاطئة وزراعة المحاصيل المستهلكة للمياه، جميعها تؤدي إلى استنزاف المياه وتراكم الأملاح (التملح الناجم عن الري) إذا لم تتوفر تصاريف جيدة وهذا يؤدي الى خروج الاف الدوانم عن الإنتاج كما هو الحال ذي قار والبصرة بعد توجهها لزراعة محاصيل عالية الاستهلاك للمياه (الأرز والقصب) في بيئة جافة مع أنظمة ري تقليدية.

٣) الرعي الجائر

ويتمثل الرعي الجائر بانعدام وجود المراعي وبزيادة أعداد الماشية بمقداد يفوق القدرة الاستيعابية للمراعي في حال توفرها، وترك الحيوانات ترعى بطريقة سائبة دون أي رقابة من المزارع مما ينعكس هذا على تناقص الغطاء النباتي وانكشاف التربة وزيادة تعرضها لعوامل التعرية والتصحر والجفاف وما يترتب عليها من تأثيرات طويلة الأمد والتي تشمل انخفاض إنتاجية المراعي وفقدان التنوع الحيوي، كما هو الحال في بادية السماوة في العراق.

٤) التوسع العمراني

ويقصد به التوسع في الاستعمالات على حساب الأراضي الزراعية والمراعي، فكما هو واضح أن المدن أخذت تنمو بشكل سريع غير مخطط على حساب الأراضي الصالحة للزراعة، ولهذا التوسع تأثيرا سلبيا يتمثل في تداخل الاستعمالات الأرضية، ونمو الأحياء العشوائية دون بنى تحتية مما أدى الى زيادة المشكلات البيئية، كما هو الحال التوسع العمراني في أطراف بغداد والبصرة وكربلاء الذي ترتب عليه استهلاك الأراضي الزراعية وتقليص المساحات الخضراء.

٥) التلوث البيئي

تعاني البيئات الجافة من ارتفاع نسب التلوث الهوائي والمائي وحتى تلوث التربة سواء بالمخلفات المنزلية والمبيدات الثقيلة والملوثات الصناعية والنفطية (مخلفات تعدين، مبيدات متراكمة، تسرب نفطي)، جميعها تؤثر على مصادر المياه المحدودة والتربة، ولأن الأمطار قليلة لا تكفي للتخلص من الملوثات لذا تنتشر بالتربة والرياح (غبار محمل بالمعادن الثقيلة) مما تفقد الأرض صلاحيتها للزراعة وتتحول البيئة غير صحية، كما هو الحال تلوث مياه شط العرب بالصرف الصناعي والنفطي والمبيدات، وتلوث مياه الأهوار جنوب العراق نتيجة أنشطة النفط والصناعات.

٦. قطع الأشجار وفقدان الغطاء النباتي

قد يكون إزالة الغابات بطريقة عمدية ولأغراض اقتصادية وصناعة الفحم وقطع الأشجار لإفساح المجال لزراعة محاصيل أخرى أو كوقود، يؤدي هذا إلى فقدان الغطاء النباتي ويقلل احتباس التربة للمياه، وتزداد التعرية ونشاط الرياح في نقل الرمال، وهذا يسهِم في تفاقم التصحر ويقلل إمكانات استعادة التربة.

٧) الصراعات والنزاعات على الموارد

وتتمثل هذه النزاعات في النزاعات القائمة بين دول المنابع ودول المصب، فكثيرا ما تضغط دول المنابع على دول المصب وتستخدم الموارد المائية كوسيلة ضغط وكسلاح حاسم، فتجعلها توافق على اتفاقيات وشروط، كما هو الحال في تركيا والعراق ودور دولة المنبع في انشاء سدود وخزانات حددت بدورها حصة العراق من المياه وانخفضت حصة الفرد منها، والحال نفسه خلال تنافس المحافظات والمزارعين على حصص المياه يؤدي أحيانًا إلى نزاعات عشائرية.

٨) الهجرة والضغط السكاني

وتتمثل بالنزوح الداخلي والهجرة نحو المدن في حال فقر توفر مقومات الحياة الكريمة مثل نقص الماء والغذاء وما يترتب عليها من تراجع في نشاط القطاع الزراعي وتراجع قدرة الأرض على الإنتاج، مما يدفع أفرادًا وعائلات إلى الانتقال إلى المدن، فيضيف ضغطًا على خدمات المدن والبُنى التحتية ويولد تحديات سكنية وصحية، وفي نفس الوقت تهجر الأراضي الزراعية وتبقى عرضة لعوامل ومسببات التصحر.

٩) تغير أنماط المعيشة

عند طريق الاعتماد على أنظمة غير مناسبة، وفقدان الممارسات التقليدية المقاومة، ففي بعض المجتمعات كانت هناك ممارسات تقليدية (زراعة محاصيل محلية، رعي متنقل) متكيفة مع مقدار المياه، فتغيرت هذه الأنماط بعد أن انتقل الافراد الى بيئات المدن الأكثر استقرارا، أو اعتماد أساليب زراعية مكثفة، أو سياسات تشجع الاستيطان بدلاً من التنقل، يقطع تلك آليات التكيف ويجعل الأرض أكثر عرضة للانهيار.

د. مروه العميدي

د. مروه العميدي

٢٠٢٥